الفكر الحداثي: محمد شحرور وتقسيمه لآيات القرآن الكريم في كتابه "الكتاب والقرآن" نموذجاً

محمد منظور ملك* ومصدق مجيد**

ملخص البحث:

لقد ظهر في زماننا أناس تناولوا نصوص القرآن والسنة، وسموا تناولهم هذا "قراءة حداثية"؛ وادعوا بها الدفاع عن الإسلام، وإخراجه من الزاوية الضيقة التي وضعه المسلمون فيها. ونراهم يَعُدّون أنفسهم منقذي الفكر الإسلامي من بين طرفي كماشة الحضارة الأوروبية، والفكر الإسلامي الموروث، مع أنهم قاموا بمحاولة هدم قواعد الدين وآيات الكتاب الحكيم، منهم محمد شحرور، حيث قسم آيات القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام، وأنكر إعجاز القرآن في قسم منها. والبحث يلقي الضوء على فكرة الحداثة أولاً، ثم ينقد تقسيم الآيات بالطريق المذكور، ويبين الخطأ في هذا التقسيم.

الكلمات المفتاحية: الحداثة، الكتاب والقرآن، محمد شحرور، المحكمات، المتشابهات.

Abstract

Many writers who appeared in our time undertook the study of the texts of the Quran and Sunnah and named it as a “modernist reading”. They claimed that it is in the way to defend Islam and to rescue it from the narrow corner in which Muslims have placed it. They count themselves as the saviours of Islamic thought by rescuing it from pedestrians of the European civilization and traditional Islamic thought, when in fact they had demolished the foundations of the religion and the verses of the book of God. Among these writers is Muhammad Shahrour, as he divided the verses of the Quran into three types and denied mericulous nature of the Quran under one of these types. The research sheds light on the idea of modernity and criticises the division of the Quranic verses by Shahrour and shows its defects.

---

* أستاذ مساعد في قسم الدراسات العامة، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

** طالب دكتوراه في قسم دراسات القرآن والسنة، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا
مجلة الإسلام في آسيا
العدد الخاص الرابع، ديسمبر2011م

Key words: Modernity, The Book and the Quran, Muhammad Shahrour, Decisive Verses, Allegorical Verse

Abstrak

Kebanyakan penulis yang muncul pada zaman kita menjalankan kajian teks-teks al-Quran dan As-Sunnah dan menamakannya sebagai “modernist reading (pembacaan modenis)”. Mereka mendakwa bahawa ia adalah dijalan untuk mempertahankan Islam dan menyelamatkannya daripada sudut sempit di mana umat Islam telah meletakkannya. Mereka menganggap diri mereka sebagai penyelamat pemikiran Islam dengan menyelamatkannya daripada orang-orang tamadun Eropah dan pemikiran tradisional Islam, sedangkan pada hakikatnya mereka telah merobohkan asas-asas agama dan ayat-ayat dari kitab suci Allah (swt). Diantara penulis-penulis ini, ada seorang bernama Muhammad Shahrour, kerana dia membahagikan ayat-ayat al-Quran kepada tiga jenis dan menafikan sifat mukjizat al-Quran di bawah salah satu jenis ini. Kajian ini memberi idea kemodenan dan mengkritik pembahagian al-Quran oleh Shahrour dan menunjukkan kecacatannya.

Kata Kunci: Kemodenan, Kitab Dan al-Quran, Muhammad Shahrour, Ayat-ayat yang tegas, Ayat-ayat Kiasan.

نظرة عامة على الفكر الحداثي

لقد كثر الكلام حول الحداثة وما بعدها في الأوساط العلمية والثقافية والسياسية في العالم الأول المزعوم أولاً، منذ الحرب الثانية العالمية، ومن الخمسينيات ابتداء والثمانيات كثرةً وشدةً عما بعد الحداثة. ثم انتقل هذا المصطلح من العالم الأول إلى العالم الثاني والثالث. وهي مذهب فكري غربي، ولد ونشأ في الغرب، ثم انتقل منه إلى بلاد المسلمين، كما وصفه القرني[1] . ومعظم الذين أرّخوا هذا المصطلح ذهبوا إلى أن تاريخها يبدأ منذ أواخر القرن

---

[1] انظر: القرني، عوض بن محمد، **الحداثة في ميزان الإسلام**، (المدينة المنورة: دار الهجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، د.ط، د.ت.)، ص17.

التاسع عشر[2]، حيث ظهر للمرة الأولى في مجالي الفن والشعر، لدى الشاعر الفرنسي "شارل بودلير"[3].

أما مصطلح "الحديث" كمفهوم مقابل لـ"القديم"، فيقول المهدي نقلاً عن جان ماري دوميناك[4]: "فقد ظهر-هذا المصطلح- لأول مرة في أوروبا في القرن الرابع عشر، غير أن هذا المفهوم أخذ يتبلور بفعل حركة الاصلاح الديني التي أطلقها مارتن لوثر في بداية القرن السادس عشر، وانبثاق عصر التنوير، واشتعال الثورة الفرنسية، فاتسع مفهوم الحداثة -حسب دوميناك- واكتسب ديناميكية هائلة تستند إلى مبدأ "لا شيء مقدس بالنسبة لها، لا شيء محرم ...، ولا شيء ينجو من دراسة العلم وتحليل العلم والفن والتقنية"[5].

مفهوم الحداثة (Modernity) وما بعدها:

أما مفهوم الحداثة لغةً فهي مشتقّة من مادة "ح د ث"، وفي اللغة يُقال: "حَدَثَ حُدوثاً وحَداثَةً: نَقيض قدُم، وتُضَمُّ داله إذا ذكر مع قَدُمَ.

---

[2] Ludwig Grünberg، *The mystery of values: studies in axiology* (Amsterdam: Atlanta، GA : Rodopi، 2000.) pg:87.

[3] **Charles Baudelaire** (born April 9،1821، Paris، France—died August 31، 1867، Paris)، French poet، translator، and literary and art critic whose reputation rests primarily on *Les Fleurs du mal* (1857; *The Flowers of Evil*),which was perhaps the most important and influential poetry collection published in Europe in the 19th century. Similarly، his *Petits poèmes en prose* (1868; "Little Prose Poems") was the most successful and innovative early experiment in prose poetry of the time. ("Charles Baudelaire." *Encyclopedia Britannica. Encyclopedia Britannica Online*، 2011. Web. 31 Mar. 2011)

[4] **Jean-Marie Domenach** was a French writer، journalist and intellectual. He was noted as a left-wing and Catholic thinker. born Lyons 13 February 1922; died Paris 5 July 1997. See: Douglas Johnson، Obituary: Jean-Marie Domenach، The Independent London *Monday، 14 July 1997.*

[5] انظر: عبد المهدي، عادل، **اشكالية الاسلام والحداثة**، (بيروت: دار الهادي، ط1، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ص5 بحذف.

وحِدْثان الأمر، بالكسر: أوله وابْتِداؤه، كحَداثَتِهِ"[6]. وهذا هو المفهوم لكلمة Modernity[7] كذلك. إذن هذه الكلمة نسبية؛ إذ كل قديمٍ حديثٌ بالنسبة لما قبله، وكل حديثٍ قديمٌ بالنسبة لما بعده، فالحداثة مصطلح لا يرتبط بنص معينٍ، أو حدث معين.

ولا نجد لها كمصطلح تعريفًا، بل نجد التباسًا شديدًا كما قيل: "إن كثافة تداول الاصطلاح تؤدي أحيانا إلى عكس المتوقع، أي أنها لا تؤدي إلى وضوح المفهوم ومعرفة مدلوله بفعل كثرة استعماله وتداوله، بل تؤدي إلى اختلال دلالته، والتباسها عند المتحدثين به والمستمعين إليه على حد سواء"[8]. وهذا أصدق مثال لهذه المقولة. وهذا الغموض هو باتفاق الباحثين. والسبب الثاني لعدم وضوح الحد كونه نسبيًّا. فكل واحد يعرفه حسب اختصاصه. نقل المصري قصة في هذا الصدد قال: "قال بعض الحداثيين ساخرًا: إذا وضعتَ في حجرةٍ واحدةٍ المناقشين الأساسيين للمفهوم، وأنا معهم، ثم أغلَقْت الحجرة وألقيتَ بالمفتاح بعيدًا، فلن يحدث إجماع بين المشتركين في الجدل بعد أسبوع، وأن خطًّا رفيعًا من الدماء سوف يظهر من تحت الباب"[9].

---

[6] الفيروز آبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط8، 1426هـ/2005م)، ج1، ص167.

[7] See :Merriam-Webster's database." relating to، or characteristic of the present or the immediate past: contemporary *1***:** of، relating to، or characteristic of a period extending from a relevant remote past to the present time ***2:*** involving recent techniques، methods، or ideas: up-to-date***3:*** *capitalized:* of، relating to، or having the characteristics of the present or most recent period of development of a language" in *Oxford Dictionary of English*.." the quality or condition of being modern: *an aura of technological modernity*. ■ a modern way of thinking، working، etc.; contemporariness: *Hobbes was the genius of modernity*"

[8] الطيب بوعزة، **الحداثة والوعي التاريخي الغائب**، الجزيرة: المعرفة.

[9] د. أنس سليمان المصري، **منطلقات الحداثيين للطعن في مصادر الإسلام**، مقالة منشورة في الراصد نت.

على أية حال فقد عرَّف الحداثةَ البعضُ بأنها ظاهرة انطلقت من أوروبا مع الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م، وعنت التغيير في النظام السياسي من النظام الملكي إلى الديمقراطي الذي يقوم على سلطة الشعب والمجالس الممثلة للشعب، واعتماد الليبرالية نظامًا اقتصاديًّا، والمساواة بين الجنسين على الصعيد الاجتماعي، وإلزامية التعليم للأطفال، والانتقال من نموذج الجماعات والطوائف الدينية المتحاربة إلى المواطن لا ابن الطائفة أو الدين، وتذوب بذلك الطوائف والأديان في بوتقة مدنية علمانية واحدة، لا تمييز فيها على أساس عرقي أو ديني أو عملي، وبهذا تكون علاقة المواطن بالدولة لا بسلطة أخر"[10]. وعرفَّها الآخرون بأنها "منهج فكري أدبي علماني، مبني على عدة عقائد غربية ومذاهب فلسفية، يقوم على الثورة على الموروث ونقده وتفسيره بحسب وجهة نظر القارئ"[11].

والفرق بين هذين التعريفين أبين من أي يبين، إلا أن الشيء المشترك للمتدبر فيهما هو أنها فكرة غربية. وهي ردة فعل تولدت من المشاكل التي أعي عن حلها أصحاب هذه الثورة، فبدل البحث عن الحل قاموا بهذه النظريات الضالة والمضلة. ففي التعريف الأول نجد أن كثيرًا من الأشياء من صميم الإسلام، فالإسلام جاء بها قبل أربعة عشر قرنًا، وبعض أخرى يؤدي إلى خراب العباد والبلاد[12].

---

[10] انظر: المسيري، عبد الوهاب، والتريكي، فتحي، **الحداثة وما بعد الحداثة، حوارات لقرن جديد،** (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٣م)، ص 349.

[11] المصري، **منطلقات الحداثيين للطعن في مصادر الإسلام**.

[12] يقول إبراهيم محمد جواد: "لم يكن من الممكن لروّاد النهضة الأوربية في القرن الخامس عشر الميلادي أن يكسروا قيود الجهل والتخلف، ما لم يقضوا بشكل حاسم ونهائي على الحلف (غير المقدس) بين الملوك والكنيسة، ومن هنا كان تسجيل التاريخ لذلك الشعار الذي رفعته الثورة الفرنسية (اشنقوا آخر الملوك بأمعاء آخر القساوسة). وكان من أول نتائج هذه الثورة إقصاء الدين عن الحياة نهائيًّا في

إذا كانت الحداثة ترتبط بالتقدم التكنولوجي فلا مانع عن قبولها، وهو الذي سماه الدهلوي بالارتفاقات[13] وأظهره كضوء الشمس بالأدلة العقلية والنقلية. وكما ذكر أنها كلمة نسبية، فبالنسبة للغرب في السياسة له معنى، وفي الاقتصاد له معنى، وفي علم الاجتماع له معنى، ففي هذه المجالات لا بد أن نكون على حذر، وقبل أن نأخذ منه شيئا يتحتم علينا أن نجعله في الميزان، ونختبره في منظار مقاصد الإسلام.

الحداثة عند الغرب

فالحداثة عند الغرب عبارة عن عدة مناهج غربية، ففي الأدب تطلق للرد على "الكلاسيكية" التي تتحدث عن النمطية والجمود عند الغرب، ويسمى هذا التيار "الرومانسية"، فكانت ثورة وتمردًا على الكلاسيكية، وادعت أن

الغرب كله، وحذف مفاهيمه وقيمه من القلوب والعقول، وخاصة عندما بدأت تظهر للوجود – بشكل واضح – تباشير النور، وانزياح جيوش الظلام المتمثل بالجهل والتخلف والتعصب الذي كانت ترعاه الكنيسة في الغرب". انظر: إبراهيم محمد جواد، **الحداثة في الفكر والأدب**، مجلة النبأ، العدد 57، شهر صفر 1422هـ، آيار 2001م.

[13] يقول الدهلوي في هذا المبحث: "الإنسان يوافق أبناء جنسه في الحاجة إلى الأكل والشرب والجماع والاستظلال من الشمس والمطر والاستدفاء في الشتاء وغيرها، وكان من عناية اللّه تعالى به أن ألهمه كيف يرتفق بأداء هذه الحاجات إلهاما طبيعيا من مقتضى صورته النوعية، فلا جرم يتساوى الأفراد في ذلك إلا كل مخدج عصت مادته، كما ألهم النحل كيف تأكل الثمرات، ثم كيف تتخذ بيتا يجتمع فيه أشخاص من بني نوعها، ثم كيف تنقاد ليعسوبها، ثم كيف تعسل، وكما ألهم العصفور كيف يبتغي الحبوب الغاذية، وكيف يرد الماء، وكيف يفر عن السنور والصياد، وكيف يقاتل من صده عما يحتاج إليه، وكيف يسافد ذكره الأنثى عند الشبق، ثم يتخذان عشًّا عند الجبل، ثم كيف يتعاونان في حضانة البيض، ثم كيف يزقان الفراخ، وكذلك لكل نوع شريعة تنفث في صدور أفراده من طريق الصورة النوعية ... وكذلك ألهم الإنسان كيف يرتفق من هذه الضرورات". فقلت: فالتعليم والتعلم من غزيرة الإنسان إذن. انظر: الشاه ولي الله الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور، **حجة الله البالغة**، تحقيق: السيد سابق، (بيروت: دار الجيل، ط1، 1426هـ/2005م)، ج1، ص86.

الشرائع والتقاليد والعادات هي التي أفسدت المجتمع، ويجب أن يجاهد في تحطيمها، ثم ظهرت المدرسة "الواقعية" التي تطورت إلى "الرمزية" التي كانت الخطوة الأخيرة قبل الحداثة التي وصلت في الغرب إلى شكلها النهائي على يدي الأمريكي اليهودي عزرا باوند، والإنجليزي توماس إليوت"[14]، ثم انتهت إلى الجمع بين عدة مناهج غربية غير الأدبية كشيوعية مادية إلى دارونية، وأتوا بمعايير جديدة، منها:

1- "أنسَنَة الدِّين"، أي: إرجاع الدين إلى الإنسَان، وإحلال الأساطير محلَّ الدِّين.

2- تطبِيق المبادئ النَّقدية الوَافِدة على النصوص المقدَّسة.

3- وضع العلميَّة "أو العقلانيَّة" والدين على طرفي نقيض، على أساس أن الدِّين فِكر غيبِيٌّ، يتعارض مع التفكير العلمِي والعقلاني[15].

نشأة الحداثة العربية ومدى تأثرها بالغرب[16]

كما ذكرت أن الحداثة غربي الأصل، ثم انتقل منه إلى بلاد المسلمين، وذلك "نتيجة للملابسات التاريخية التي عاني منها المسلمون في القرن العشرين، من سقوط سيادتهم، واستعمار بلدانهم، وتوالي الهزائم الفكرية والنكسات العسكرية عليهم أمام الغرب، وفشل التيار العلماني بشقيه "القومي والماركسي" في تحقيق ما وعد به من شعارات التنمية والتحرر، الأمر الذي أجبر العلمانيين

---

[14] إحسان عباس، **فن الشعر**، (الأردن: دار الشروق، ط4، 1987م)، ص72. والنص للدكتور أنس سليمان المصري النابلسي، بتصرف.

[15] المصري، **منطلقات الحداثيين للطعن في مصادر الإسلام**، الراصد نت.

[16] أقسم الحداثة إلى قسمين بالنسبة الإسلام حسب ما فهمت بعد القراءة ما كتب حول هذا الموضوع وهما: الحداثة المردودة والحداثة المقبولة والتي أريد أن أتحدث عنها هنا هي الحداثة المردودة، إذا الإشكال فيها دون الأخرى.

على إعادة النظر في أساليب العمل والنضال السابق"[17]. مع ذلك "حاولوا بشتى الطرق والوسائل أن يجدوا لحداثتهم جذورًا في التاريخ الإسلامي، محاكاة لما فعله الغرب في إرجاع حداثتهم إلى الثورة اللوثرية، فما أسعفهم إلا أن استشهدوا إما بملحد أو فاسق أو ماجن؛ كالحلاج، وابن عربي الصوفيين، وبشار، وأبي نواس، وابن الراوندي، والمعري، والقرامطة، وثورة الزنج"[18]، وما قاله الحداثيون العرب في هذا الصدد هو "ليس إلا تكرارًا لما قاله حداثيو أوروبا وأمريكا، ورغم صياحهم ومناداتهم بالإبداع والتجاوز للسائد والنمطي -كما يسمونه عندهم- إلا أنه لا يطبق إلا على الإسلام وتراثه، أمّا وثنية اليونان وأساطير الرومان وأفكار ملاحدة الغرب، حتى قبل مئات السنين، فهي قمة الحداثة، وبذلك فهُم ليسوا إلا مجرد نقلة لفكر أعمدة الحداثة في الغرب مثل: إليوت، وباوند، وريلكة، ولوركا، ونيرودا، وبارت، وماركيز"[19]. فليست الحداثة عند العرب إلا تطبيقًا لما حصل في الغرب، ولم يبق منها عربي إلا الحروف العربية المكتوبة، أما الكلمات والتراكيب والنحو فقد فجرها الحداثيون كما يدعون وفرغوها من مضمونها.

والاعترافات من منظري الحداثة بذلك كثيرة، ففي الأدب يعترف غالي شكري بهذا، ويقول: "إن المفاضلة بين الشعر التقليدي والشعر الحديث، تصبح غير ذات موضوع؛ لأنهما لا يملكان في حقيقة الأمر من عناصر الأرض المشتركة سوى اللغة، كما أن محاولة تبرير الشعر الحديث بميراثنا التاريخي، من حركات التجديد في الشعر العربي، هي محاولة غير مجدية، بل أصبحت ضارة إلى

---

[17] المصري، **منطلقات الحداثيين للطعن في مصادر الإسلام**، الراصد نت.

[18] انظر أدونيس، علي أحمد سعيد، **الثابت والمتحول بحث في الاتباع والابداع عند العرب**، (بيروت: دارالفكر، ط5، 1406هـ/1986م)، ج3، ص255-297. والنص للقرني.

[19] القرني، **الحداثة في ميزان الإسلام**، ص17.

حد ما، فالنقد الحديث الذي يود أن يرافق شعراءنا الجدد، عليه أن يلتفت إلى جوهر القصيدة الغربية الحداثية إذا أراد أن يكتشف جوهر القصيدة العربية الحديثة"[20].

وكذلك اعترف محمد برادة في مقالة كتبها بعنوان "اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة" أكد فيه بأن الحداثة مفهوم مرتبط أساسًا بالحضارة الغربية وبسياقاتها التاريخية وما أفرزته تجاربها في مجالات مختلفة، ويصل في النهاية إلى أن الحديث عن حداثة عربية مشروط تاريخيًّا بوجودٍ سابقٍ للحداثة الغربية وبامتداد قنوات للتواصل بين الثقافتين"[21].

وقبل أن أنتقل إلى مناهجهم أريد أن أقدم مثالاً يعرب عن مدى تأثرهم بالحداثة الغربية، وهو ما قال علي الغامدي: "ومهما يقال: إن تلك المصطلحات منقولة من الغرب، حيث كانت صدى لما كان عليه القرن التاسع عشر، إلا أن لها شمولها الإنساني وصياغتها العالمية التي تناسب كل لغة، ومن هذه المصطلحات على سبيل المثال: الدارونية، والتي تعتبر كشفًا لتطور بعض جوانب الكائن الإنساني، وكذلك العلوم الميثولوجية تعد كشفًا لأصول العقائد، وهذه المصطلحات في جملتها تفصح عن منهج جديد واضح ومحدد، يستلهم العقل والتجربة في ربط المقدمات بالنتائج، والعلة بالمعلول"[22].

مناهج الحداثيين في التعامل مع نصوص الشريعة

أما تعاملهم مع النصوص الشرعية من القرآن والسنة، فقد طبقوا المعايير الغربية عليها بدون أي اكتراث، فهذا أركون يقول في مؤتمر عقد في مدينة ميلانو الإيطالية بعنوان الإسلام الأوروبي: "لقد عرضنا الإنجيل على عقولنا

---

[20] غالي شكري، **شعرنا الحديث إلى أين**، (القاهرة: دار شروق، د.ط، 1991م)، ص166. والشكري هو شيوعي مصري وأحد منظري ورموز الحداثة العربية.

[21] انظر: محمد برادة، مجلة **فصول**، المجلد الرابع، العدد3. والنص للقرني، ص11.

[22] انظر: علي أحمد الغامدي، **الشعر الحديث كمصطلح**، مجلة اليمامة، السعودية، العدد 906، 1986م، ص62.

فأخذنا منه ورددنا، ثم عرضنا التوراة على عقولنا فأخذنا منها ورددنا، وقد آن الأوان أن نعرض القرآن على عقولنا فنأخذ منه ونرد"[23]. كبرت كلمة تخرج من أفواههم. ويقول في موقع آخر: "إن الجمهور الأوروبي يجهل كل شيء عن حقائق الإسلام والمجتمعات الإسلامية، كما أنه مليء بالإحكام السلبية المسبَّقة تجاهها، وأنا أهدف إلى إيضاح الأمور على حقيقتها، وبالتالي إزالة هذه الأحكام المسبقة أو زحزحتها بعض الشيء إن أمكن"[24].

وكذلك هو لا يؤمن بأي دليل نقلي، وهو "لا يعتمد على صدق الخبر سندًا أو متنًا، وكلاهما لا يثبتان إلاَّ بالحس والعقل طبقًا لشروط التواتر، فالخبر وحده ليس حجةً، ولا يثبت شيئًا، على عكس ما هو سائد في الحركة السلفية المعاصرة على اعتمادها المطلق على: "قال الله"، و"قال الرَّسُول" واستشهادها بالحجج النقلية وحدها دون إعمال الحس والعقل، وكأن الخبر حجة، وكأن النقل برهان، وأسقطت العقل والواقع من الحساب في حين أنَّ العقل أساس النقل"[25]، يتجلى من هذه العبارة كيف أسقط –حنفي بذلك –وبكل بساطة– علوم الإسناد والجرح والتعديل والعلل.

يقول محمد الجابري في معرض حديثه عن الحديث الصحيح: إنَّ "كتب الحديث الصحيحة، كصحيحي البخاري ومسلم إنما هي صحيحة بالنسبة للشروط التي وضعها أصحابها لقبول الحديث، الحديث الصحيح ليس صحيحًا

---

[23] قال هذا الكلام محمد أبوعبده، وكان حاضرًا في هذا المؤتمر، ذكر هذا الكلام عند التعليق على مقالة الدكتور أنس سليمان المصري النابلسي، بعنوان المنطلقات الفكرية والعقدية عند الحداثيين للطعن في الصحيحين، في ملتقى أهل الحديث.

[24] انظر: أركون، محمد، **الإسلام، أوروبا، الغرب: رهانات المعنى وإرادات الهيمنة**، ترجمة هاشم صالح، (بيروت: دار الساقي، ط2، 1995م)، ص197.

[25] انظر:حنفي، حسن، **التُّراث والتجديد من العقيدة إلى الثورة**، (بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 1988م)، ص318.

في نفسه بالضرورة ... وإنما هو صحيح بمعنى أنه يستوفي الشروط التي اشترطها جامع الحديث كالبخاري ومسلم"[26]، وهذا بعد تلقي الأمة الإسلامية قديمًا وحديثًا للصحيحين بالقبول، وهذا لا شك فيه، ولا يحتاج إلى أي دليل.

فجملة القول أن هؤلاء الحداثيين أبعدوا البحث في التعامل مع النصوص الشرعية، حتى بلغوا فيها إلى أن يسووا نصوصها بأي خطاب بشري، والخطورة لهذا الأمر بينة، ولا يمكن الاستقصاء هنا، ولسنا في صدد استقصائه.

ترجمة د.محمد شحرور.

ولد محمد شحرور بن ديب في دمشق عام 1938م، وأتم تعليمه الثانوي في دمشق، وسافر بعد ذلك إلى الاتحاد السوفييتي ليتابع دراسته في الهندسة المدنية، وتخرج بدرجة دبلوم فيها، وعين معيدًا في كلية الهندسة المدنية في جامعة دمشق حتى عام 1968م. حصل على الماجستير عام 1960م، والدكتوراه عام 1972م، وعين فيما بعد مدرسًا في كلية الهندسة المدنية في جامعة دمشق، حيث ما زال محاضرًا حتى اليوم. له عدة كتب في مجال اختصاصه تؤخذ كمراجع هامة لميكانيك التربة والأساسات. وبدأ في دراسة التنْزيل الحكيم في إيرلندا بعد حرب 1967م، وذلك في عام 1970م، وقد ساعده المنطق الرياضي على هذه الدراسة، واستمر بالدراسة حتى عام 1990م، حيث أصدر الكتب في ضمن سلسلة (دراسات إسلامية معاصرة) الصادرة عن دار الأهالي للطباعة والنشر في دمشق. وقد أجريت معه مقابلات صحفية من قِبَل عدة صحف ومجلات، عربية وأجنبية، يومية وشهرية ودورية، تدور أبحاثه حول

---

[26] انظر: محمَّد عابد الجابري، في قضايا الدِّين والفكر، **مجلة فكر ونقد**، المغرب، السنة الأولى، العدد 9، مايو 1998م، ص8.

الأحداث الراهنة بوقتها. منها مجلة الإيكونوميست البريطانية، صحيفة الراية القطرية، صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية، مجلة ديرشبيغل الألمانية، صحيفة ديه فيلد الألمانية، مجلة روز اليوسف المصرية، صحيفة النهار اللبنانية، صحيفة السفير اللبنانية، صحيفة النور السورية، صحيفة الاتحاد الإماراتية وغيرها. وقد سجلت له قناة أوربت الفضائية حلقات تلفزيونية بثت على الهواء مباشرة (حضوري وعلى الهاتف) عام 2000 – 2001 (22 حلقة تلفزيونية كل منها حوالي الساعتين)، وأثارت ردود فعل كثيرة عربيًّا وعالميًّا. وقد دعي، ولا يزال يدعى إلى بلدان عربية وأوربية وأمريكية من قبل هيئات حكومية ومدنية وجامعات منذ عام 1993م بصفة باحث ومفكر إسلامي، وطرح خلال هذه الزيارات منهجه وقراءته المعاصرة للتنْزيل الحكيم، ونشرت له هذه الأبحاث في الدوريات والنشرات الصادرة عن هذه الهيئات. منها: مجلس العلاقات الخارجية الأمريكية في نيويورك، جامعة هارفارد، جامعة بوسطن، جامعة دورتماوث، مؤتمر ميسا في شيكاغو 1998م، جامعة برلين 2001م، المجلس الإسماعيلي في لندن 2002م، مؤسسة روكفلر في بيلاجيو إيطاليا، نادي العروبة في البحرين، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية جمعية التجديد في البحرين، الجمعية النسائية في البحرين، مجلة مقدمات في المغرب، مؤسسة عبد الرحيم بوعبيد في المغرب. مجلس العلاقات الخارجية في ألمانيا، مؤسسة كونرادآديناور الألمانية في عمان، جامعة يال الأمريكية في تركيا وغيرها[27].

منهجه العام

من الأحسن أن نقدم نظرة عامة على منهج المؤلف قبل أن ندخل في صميم موضوعنا، فقد كتب هو نفسه في موقعه الرسمي النقاط الرئيسة للمنهج

---

[27] انظر: محمد شحرور، **السيرة الذاتية**، (الموقع الرسمي لمحمد شحرور) http://www.shahrour.org

الذي اتبعه في تأليف كتبه، وهو: "هذه النقاط تتألف من المنهج اللغوي والمنهج المعرفي المتبع في التعامل مع التنْزيل الحكيم"، ثم اختصرها في بنود مرقمة، وبدأ بالبنود اللغوية، ثم الفكرية، ثم الفقهية، وهي تعرِّف القارئ كيف وصل إلى الاستنتاجات التي أوردها تحت عنوان (المصطلحات)، وهي التي تم شرحها واستنتاجها بشكل مفصل في كتبه.

ثم يقول: "وفيها -أي في كتبه- يرى القارئ ما هو معنى ومحتوى القراءة المعاصرة، حيث تم اختراق كثير مما يسمى بالثوابت، وخاصة ما يسمى أصول الفقه التي تم وضعها من قبل الناس في القرون الهجرية الأولى، وهي برأينا لا تحمل أي قدسية، وبدون اختراق هذه الأصول لم نتمكن، ونرى أنه لا يمكن تجديد أي فقه. ونورد هنا مقولة آينشتاين[28] الشهيرة: "إنه لمن الحماقة أن تعتقد أنك ستحصل على نتائج جديدة وأنت تكرر الشيء نفسه". فمن هنا نرى أن أطروحات التجديد لا معنى لها ولا تؤتي ثمارها، وإنما هي تكرار للذات وللسلف، وهي مجموعة من الخطابات والكلمات الرنانة بدون أي معانٍ أو أفكار مفيدة. فأي تجديد لا يسمى تجديدًا إلا إذا اخترق الأصول، وعلينا أن

---

[28] ألبرت أينشتاين (Albert Einstein)14مارس1879 –18أبريل1955م، عالم في الفيزياء النظرية. ولد في ألمانيا، لأبوين يهوديين، وحصل على الجنسيتين السويسرية والأمريكية. يشتهر أينشتاين بأنه واضع النظرية النسبية الخاصة والنظرية النسبية العامة الشهيرتين اللتين حققتا له شهرة إعلامية منقطعة النظير بين جميع الفيزيائيين، حاز في العام 1921م على جائزة نوبل في الفيزياء. بعد تأسيس دولة إسرائيل عرض على أينشتاين تولي منصب رئيس الدولة في إسرائيل لكنه رفض مفضلا عدم الانخراط في السياسة وقدم عرضا من عدة نقاط للتعايش بين العرب واليهود في فلسطين. والوثيقة التي أرسلها أينشتاين تدل أنه كان بعيدا تماما عن معرفة الأمور السياسية وتعقيداها، وبعيد عن أي معرفة بالأفكار الصهيونية التي تقوم عليها إسرائيل. انطر:

"Albert Einstein.". Encyclopedia Britannica Online. Encyclopedia Britannica، 2011. Web. 04 Apr. 2011.

نعي حقيقة تاريخية هامة جدًّا، وهي أن التاريخ الإنساني حسب التنْزيل الحكيم". ثم قسم هذا التاريخ الإنساني إلى مرحلتين، وهما:

"المرحلة الأولى مرحلة الرسالات التي انتهت برسالة محمد (ص).

والمرحلة الثانية مرحلة ما بعد الرسالات والتي نعيشها نحن". ثم شرح هذا فقال:

"أي أن الإنسانية الآن لا تحتاج إلى أية رسالة أو نبوة، بل هي قادرة على اكتشاف الوجود بنفسها بدون نبوات، وقادرة على التشريع بنفسها بدون رسالات. والإنسانية اليوم أفضل بكثير من عصر الرسالات، لأن البشرية كانت بحاجة إليها للرقي من المملكة الحيوانية إلى الإنسانية، أما نحن فلا. وعلينا أن نعي أن المستوى الإنساني والأخلاقي في تعامل الناس بعضهم مع بعض أفضل بكثير من قبل وحتى في عهد الرسالات. فالبكاء على عصر الرسالات لا جدوى منه، لأننا الآن في مستوى أرقى معرفيًّا وتشريعيًّا وأخلاقيًّا وشعائريًّا. ويكفي أن ضمان حقوق الإنسان أصبح كابوسًا على رأس كل متسلط. والمؤسسات المدنية المحلية والعالمية التي تقوم على أساس تطوعي، تتنامى يومًا بعد يوم، وأنه تم إلغاء الرق بشكل كامل، حيث دشنت الرسالة المحمدية بداية تحرير الرق والمرأة ولم ينته إلى الآن. هذه المظاهر التي كانت لا تعرفها البشرية من قبل. ونحن قرأنا التنزيل الحكيم على أنه خاتم الرسالات، بعيون وعقل عصر ما بعد الرسالات على أساس أنه جاء للأولين بمستوى، أي قرؤه بعيونهم وبمستوى معارفهم، ولنا بمستوى آخر نقرأه بعيوننا وبمستوى معارفنا، ولايمكن أن تكون الصلاحية إلا هكذا"[29].

---

[29] المنهج المتبع في التعامل مع التنزيل الحكيم، وفق القراءة المعاصرة، "الموقع الرسمي للدكتور محمد شحرور" http://www.shahrour.org

النظرة العامة في كتابه "الكتاب والقرآن – قراءة معاصرة".

هذا الكتاب يحتوي على مقدمتين وثلاثة أبواب وخاتمة. أما المقدمة الأولى فهي قدمها الدكتور جعفر دك الباب صديق المؤلف، قدم فيها المنهج اللغوي الذي اتبعه المؤلف في الكتاب، ثم أشار إلى أهم النتائج التي توصل إليها بذلك المنهج.

وأما المقدمة الثانية فهي للمؤلف، بين المؤلف هنا الموضوعات التي بحثها في الكتاب، وكذلك قام بذكر التعريفات للمصطلحات، ثم أوجز الكلام في التبويب وأطال الكلام في ذكر المنهج المتبع.

عنون الباب الأول بـــ"الذكر"، وقدم الفكرة الأساسية التي استند فيها إلى إنكار ظاهرة الترادف في العربية، متابعًا في ذلك عددًا من كبار علماء العربية، "ومنهم ثعلب وابن فارس وأبو علي الفارسي". ورفض أن لفظتي "الكتاب" و"القرآن" مترادفتان، وأكد تباينهما وعدم ترادفهما. وانطلاقًا من هذا الفهم لترتيل القرآن، قام بجمع "ترتيل" الآيات التي وردت فيها لفظة "القرآن" والآيات التي وردت فيها لفظة "الكتاب"، واستنطقها، فأتى في الفصل الرابع بنتيجة أن معنى الترتيل غير المعنى السائد للترتيل الذي هو التأنق في تلاوته، وكما أشار الزمخشري في "أساس البلاغة" في مادة "ر ت ل" أن من المجاز ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾ إذا ترسل في تلاوته وأحسن تأليف حروفه، وهو يسترسل في كلامه ويترتل. ويقول: "القاعدة الثالثة – من قواعد التأويل – الترتيل: ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾ [المزمل:4] .بما أن مواضيع القرآن متفرقة في السور. فمثلاً موضوع آدم موجود في سورة البقرة والأعراف وطه وسور أخرى. وكذلك قصة نوح موجودة في سورة نوح وهود والأعراف والمؤمنون. وكذلك قصة موسى موجودة في كثير من السور، فكيف نفهم هذا الموضوع إذا لم يتم ترتيله؟ والترتيل هنا هو أخذ الآيات المتعلقة بالموضوع الواحد

وترتيلها بعضها وراء بعض. والرتل في اللسان العربي هو الصف على نسق معين. ولا يقصد بالترتيل التلاوة ولا التنغيم"[30].

والباب الثاني هو تحت عنوان "جدل الكون والإنسان" يحتوي هذا الباب على المواضيع الرئيسة للنبوة "القرآن" فالفصل الأول يحوى قوانين الوجود الكوني، وهي قوانين الجدل المادي، حيث تبين أن قوانين الجدل المادي وتغير الصيرورة "التطور" هي العمود الفقري لقوانين الوجود في القرآن "النبوة"، وبحث المتناقضات والأزواج والأضداد في الوجود، فخلص إلى قانون تسبيح الأشياء لله. وشرح مفهوم البعث والساعة ونفخة الصور واليوم الآخر والجنة والنار. وفي الفصل الثاني بحث في مشكلة المعرفة الإنسانية، ومن المشاكل القرآنية "النبوة"، وقد شرح تحت عنوان جدل الإنسان، وشرح مفهوم البشر والإنسان والحق والباطل والغيب والشهادة والقلم والعلق، ومفهوم الفؤاد والقلب والفكر والعقل والمشخص والمجرد. وتوصل في بحثه أن الروح ليست سر الحياة، وإنما هي سر الأنسنة، أي هي التي حولت البشر إلى إنسان.

وعنوان الباب الثالث "أم الكتاب والسنة والفقه"، وهو يحتوي على ثلاثة فصول هي: أم الكتاب (الرسالة)، السنة، الفقه الإسلامي. ويشتمل الفصل الأول على "تمهيد في أم الكتاب" وشرح الصراط المستقيم، وقام بتفريع الاستقامة والحنيفية، على ثلاثة فروع: الفرع الأول: خصص لنظرية الحدود، حيث أن عالمية الرسالة للنبي ﷺ، وصلاحيتها ورحمتها ومرونتها تكمن في نظرية الحدود، حيث أعطى الله للرسل قبل محمد ﷺ تشريعات عينية حدية، وختم الرسالات كلها بتشريع حدودي لا حدي، لذا كان محمد ﷺ بداية الإنسان الحديث والمعاصر، وقد بين في هذا الفصل أن العبادات تدخل ضمن

---

[30] محمد شحرور، **الكتاب والقرآن قراءة معاصرة**، (دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط7، 1997م)، ص37.

الحدود ولكنها شخصية وفيها التقوى الفردية. والفرع الثاني: الفرقان العام "الوصايا العشر" والفرقان الخاص وذكر مفهوم الأخلاق والعادات والتقاليد، حيث بين أن الأخلاق عالمية، والعادات محلية. وقد بينا أن هناك فرقانين: الفرقان العام وهو الذي جاء إلى موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام وهو ملزم لكل الناس، وفيه التقوى الاجتماعية، وهو القاسم المشترك لكل الأديان، وهناك فرقان خاص جاء إلى محمد ﷺ، وهو غير ملزم لكل الناس وإنما جاء للناس الراغبين بأن يصبحوا أئمة المتقين. الفرع الثالث: ذكر المعروف والمنكر وبحث التعليمات الخاصة والمرحلية التي جاءت للنبي ﷺ، وبحث في خاصية الآيات التي تبدأ بقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي﴾ علمًا بأن الطاعة جاءت للرسالة لا للنبوة ﴿وأطيعوا الله والرسول﴾ [آل عمران:132]، وليس في الكتاب آية واحدة فيها "وأطيعوا النبي". في الفصل الثاني (السنة): بحث عن مفهوم السنة التقليدي. وباستخدام المنهج الجديد المقترح في فهم القرآن والكتاب ونظرية الحدود، ثم حدد مفهومًا أصيلاً ومعاصرًا للسنة النبوية، وشرح قوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ [الأحزاب:21]. والفصل الثالث يشتمل على ثلاثة فروع، وهي: الفرع الأول: أزمة الفقه الإسلامي؛ بحث في ضوء فهمه الجديد للرسالة والسنة تحديد أزمة الفقه الإسلامي المستعصية، ووضع أسسًا جديدة للفقه الإسلامي تجعل منه فقهًا متطورًا مرنًا، منسجمًا مع فطرة الناس، وصالحًا لكل زمان ومكان، ونظرية الحدود هي التي هدتنا إلى هذا الطرح الجديد لأسس الفقه الإسلامي. والفرع الثاني هو عن فلسفة القضاء الإسلامي والعقوبات. والفرع الثالث عن الإسلام والمرأة. طبق هنا الأسس الجديدة للفقه الإسلامي المقترح، والمبني على نظرية الحدود، وعلى المفهوم المعاصر للسنة، فنتج لدينا أحكام جديدة عن المرأة لم تكن في كتب الفقه السابقة.

والباب الرابع جاء تحت عنوان "في القرآن" قسمه في موضوعين يعتبران

من مواضيع القرآن، وهما الشهوات الإنسانية والقصص القرآني. ويحتوي هذا الباب على فصلين: الفصل الأول: "الشهوات الإنسانية". حدد الشهوات الإنسانية وتمييزها عن الغرائز البشرية واستنتج أسس النظام الاقتصادي الإسلامي العالمي وصلاحه لكل زمان ومكان، كما استنتج نظرية الجمال في الإسلام، وتطور مفاهيم الجمال عند الإنسان حتى وقتنا الحاضر، وحدد موقف الإسلام من سائر الفنون. الفصل الثاني "نموذج للترتيل في القصص القرآني". ذكر ترتيل الآيات المتعلقة بنوح وهود، واستنتج المراحل التاريخية للنبوات والرسالات، ووضع شجرة الأنبياء والرسل.

وفي الخاتمة شرح مفهوم الإسلام، وتعريف الدين الإسلامي حسب فهمه.

منهجه في كتابه "الكتاب والقرآن – قراءة معاصرة"

أما منهج محمد شحرور فقد أشار إليه د. جعفر دك الباب في مقدمة كتابه إذ قال: "وبما أن الدكتور شحرور تبنى المنهج التاريخي العلمي، فقد ركز على التلازم بين اللغة والتفكير ووظيفة الاتصال منذ بداية نشأة الكلام الإنساني، وانطلق من أن اللغة الإنسانية كانت منطوقة في نشأتها الأولى، وأنكر ظاهرة الترادف في العربية. لذا اختار الباحث (معجم مقاييس اللغة) لابن فارس واعتمده مرجعًا هامًّا يستند إليه في تحديد فروق معاني الألفاظ التي بحث فيها؛ لأن ابن فارس تلميذ ثعلب، وقد أخذ برأي أستاذه حول التباين بين اسم الذات واسم الصفة، وعبارة ثعلب مشهورة "ما يظن في الدراسة اللغوية من المترادفات هو من المتباينات"[31].

وقد فهم الدكتور من مسألة "إنكار الترادف بين مفردات اللغة" ـــ

---

[31] شحرور، **الكتاب والقرآن قراءة معاصرة**، ص24.

عند تنزيلها على الصفات المتعددة لموصوف واحد، مثل وصف الله بأنه "غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب" فهذه الأوصاف المتعددة كل منها يفيد معنى خاصًّا به، لا يترادف مع معنى الآخر— أن إنكار الترادف في الأوصاف يلزم منه اختلاف الموصوف، وهذا الخطأ هو ما أكبر ما استند إليه في تقسيمه آيات القرآن إلى ثلاثة أقسام متغايرة، والآن ننتقل إلى هذه القضية ونرى ما في طيها.

رأيه في تسمية القرآن بالقرآن، وتقسيماته لآيات القرآن الكريم

يقول المؤلف في هذا الصدد بأنه لا يمكن أن يطلق اسم "الكتاب" و"القرآن" على شيء واحد، بل لا بد من المغايرة بينهما، فالكتاب عنده هو "ما بين دفتي المصحف، موحى من الله سبحانه وتعالى بالنص والمحتوى"، لكن "القرآن" ليس إلا بعض آيات الكتاب: آيات الأخبار والمعلومات دون الأحكام والتشريعات. والتفصيل لهذا هو يقسم آيات "الكتاب" إلى ثلاثة أقسام، فيقول:

" أن هناك ثلاثة أنواع من الآيات في الكتاب. ولم نستطع أن نقوم بهذا التصنيف إلا بعد أن تم تحديد الفرق بين النبوة والرسالة. فالنبوة هي مجموعة من المعلومات أوحيت إلى النبي ﷺ وبها سمي نبيًّا، أي أن كل الأخبار والمعلومات التي جاءت إلى النبي بالإضافة إلى المعلومات فأصبح بها رسولاً، فالنبوة علوم، والرسالة أحكام. أي نظرية الوجود الكوني والإنساني وتفسير التاريخ هي من النبوة، وهي من الآيات المتشابهات، أما التشريع مع إرث وعبادات، ومعها الفرقان العام "الأخلاق" والمعاملات والأحوال الشخصية والمحرمات فهي الرسالة أي الآيات المحكمات. وهناك نوع ثالث من الآيات وهو الآيات الشارحة لمحتوى الكتاب، فهي لا محكمة ولا متشابهة، ولكنها من النبوة حيث تحتوي على معلومات، لذا فإن الكتاب من حيث الآيات ينقسم إلى ثلاثة

أقسام:

1- الآيات المحكمات: وهي التي تمثل رسالة النبي ﷺ، وقد أطلق الكتاب عليها مصطلح "أم الكتاب"، وهي قابلة للاجتهاد حسب الظروف الاجتماعية والاقتصادية ما عدا العبادات والأخلاق والحدود.

2- الآيات المتشابهات: وقد أطلق عليها الكتاب مصطلح "القرآن والسبع المثاني"، وهي القابلة للتأويل، وتخضع للمعرفة النسبية، وهي آيات العقيدة.

3- آيات لا محكمات ولا متشابهات: وقد أطلق عليها الكتاب مصطلح "تفصيل الكتاب".

ونحن نرى أن التحدّي للناس جميعًا بالإعجاز إنما وقع في الآيات المتشابهات "القرآن والسبع المثاني"، وفي الآيات غير المحكمات وغير المتشابهات "تفصيل الكتاب"، حيث إن هذين البندين يشكلان نبوة محمد %[32]. أما الآيات المحكمات فلا إعجاز فيها.

لكي نفهم هذا التقسيم أريد أن أوضحه في الجدول الآتي:

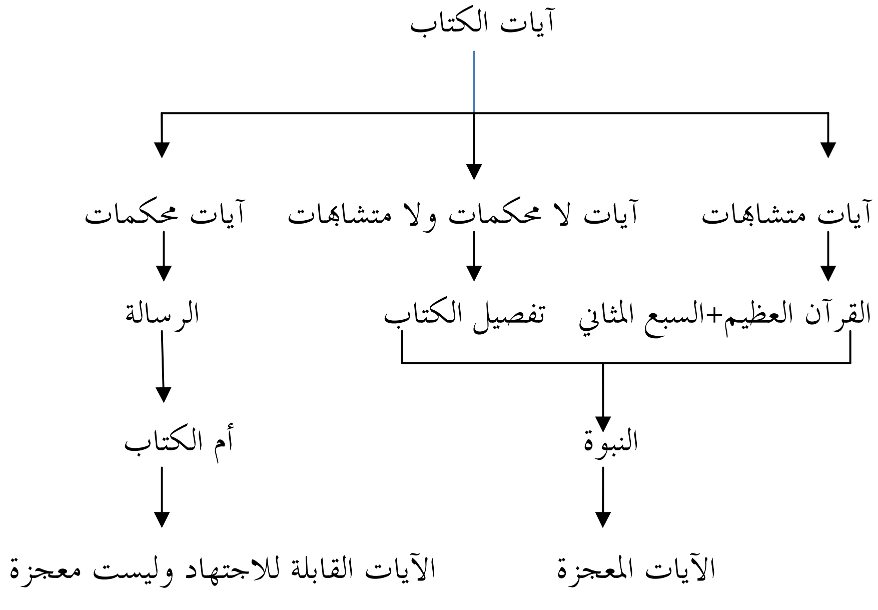
آيات الكتاب
آيات متشابهات
آيات لا محكمات ولا متشابهات
آيات محكمات
القرآن العظيم+السبع المثاني
تفصيل الكتاب
الرسالة
النبوة
أم الكتاب
الآيات المعجزة
الآيات القابلة للاجتهاد وليست معجزة

---

[32] شحرور، **الكتاب والقرآن قراءة معاصرة**، ص37.

ثم يواصل الكلام، ويبين الفرق بين الكتاب والقرآن والفرقان والذكر، فيقول:

"لقد تبين لنا أن هناك فرقًا جوهريًا بين الكتاب والقرآن والفرقان والذكر. فالقرآن والسبع المثاني هما الآيات المتشابهات ويخضعان للتأويل على مر العصور والدهور؛ لأن التشابه هو ثبات النص وحركة المحتوى. وقد تم إنزال القرآن بشكل متشابه عن قصد، وقد كان النبي ﷺ ممتنعًا عن التأويل عن قصد، أي أن القرآن يؤول ولا يفسر، وأن كل تفاسير القرآن تراث يحمل طابع الفهم المرحلي النسبي[33].

ثم يثير هنا سؤالاً ويجيب بنفسه فيقول: "فإذا سأل سائل: هل آية الإرث من القرآن؟ فالجواب: لا، هي ليست من القرآن "النبوة"، ولكنها من أم الكتاب "الرسالة"، وهي من أهم أجزاء الرسالة وهو الحدود. فهل هذا يعني أنها ليست من عند الله؟ لقد جاء الجواب عن المحكم "أم الكتاب" وعن المتشابه "القرآن والسبع المثاني" وعن اللامحكم واللامتشابه "تفصيل الكتاب" بقوله: ﴿كل من عند ربنا﴾ [آل عمران:7] فما الفرق بينها إذًا، ما دام كل من عند الله؟

الفرق هو أن القرآن فرق بين الحق والباطل، أي أعطى قوانين الوجود، لذا قال عنه: ﴿هدى للناس﴾ [البقرة:185]. وأم الكتاب عبارة ع تشريع، والتشريع يمكن تحويره، لذا قال عن الكتاب: ﴿هدى للمتقين﴾ [البقرة:2]. فحتى نصدق أن أم الكتاب من عند الله جاء القرآن مصدِّقًا لها، لذا عندما وضع محتويات الكتاب قال: ﴿وما كان هذا القرآن أن يُفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ [يونس:37] أي أن محتويات الكتاب هي القرآن والسبع المثاني وتفصيل الكتاب،

---

[33] شحرور، **الكتاب والقرآن قراءة معاصرة**، ص37.

والذي بين يديه "أم الكتاب". فهذه الآية لا محكمة ولا متشابهة؛ لأنها شرحت محتوى الكتاب لذا فهي ضمن آيات تفصيل الكتاب"[34].

والمتدبر في هذا التقسيم الذي قام به المؤلف، ومن له أدنى إلمام بالقرآن، يعرف في أول وهلة، بأن هذا التقسيم يتعارض مع نص الآية القرآنية: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران:7] فالآية صريحة في القسمة الثنائية لآيات القرآن إلى محكمات ومتشابهات. يقول الميداني:

"لقد اخترع هو (أي مؤلف كتاب "من أعداء الإسلام") هذا التقسيم العجيب الغريب لكتاب الله من عند نفسه، ليمرر مفترياته على كتاب الله المنَزَّل على رسوله كما يهوي أساتذته الملاحدة الماركسيون، والقرامطة الباطنيون الإباحيون. وليس لتقسيماته هذه أسانيد عقلية ولا تطبيقية صحيحة، وحيلته كما شهدنا حركات بهلوانية ادعائية، وألاعيب لغوية، واستنباطات تحريفية خرافية، وقد تظهر في بعضها لوثات فكرية، نظير اللوثات الفكرية التي تظهر في عبارات نزلاء مستشفيات الأمراض العقلية"[35].

مع معارضة هذا التقسيم مع القرآن "أنهما (أي محكمات ومتشابهات) وصفان لا يرتفعان سويًّا ولا يجتمعان، فإضافة قسم ثالث ينتفي فيه الوصفان، أمر لا يحتمله نص الآية ولا يقبله عقل"[36].

ثم إدخال آيات العقيدة في الآيات المتشابهات "أمر في غاية الخطورة، إذ المناسب في جانب العقيدة التي يريد الله من عباده أن يعتقدوها أن تكون في

---

[34] المصدر نفسه.

[35] انظر:حبنكة الميداني، عبد الرحمن حسن، **التحريف المعاصر في الدين**، (دمشق: دار القلم، ط1، 1418هـ/1997م)، ص59.

[36] انظر: ناضرين، بدر بن محمد، **موقف د. محمد شحرور من أركان الإيمان من خلال كتابه "الكتاب والقرآن قراءة معاصرة"**، (المكتبة الشاملة د.ط.)، ص12.

غاية الوضوح والظهور، لا أن تكون من المتشابهات! فالله سبحانه يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر، ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:78] ثم انظر إلى سياق الآية الكريمة، مَن الذين يتبعون المتشابه؟ ومن الذي يعلم تأويله؟ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران:7] فهل يناسب أن يكون اعتقاد المؤمنين في ربهم وما أمروا أن يؤمنوا به هو ما يتبعه الذين في قلوبهم زيغ ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله؟! وتأويله لا يعلمه إلا الله؟!"[37].

ثم قول المؤلف: "إن التحدّي للناس جميعًا بالإعجاز إنما وقع في الآيات المتشابهات "القرآن والسبع المثاني"، وفي الآيات غير المحكمات وغير المتشابهات "تفصيل الكتاب" صريح بأن القرآن ليس كله معجزًا وهذا جهل وتجاوز للحقيقة، ومخالفة لا مسوغ لها، بل تناقض مع آيات التحدي التي لم يفرق فيها بين قرآن و قرآن أو بين سورة و سورة، بل جاء التحدي عاماً.[38] ثم نفي إطلاق مسمى "القرآن" على أية الإرث خطأ ظاهر، فإن الله أطلق التحدي على إعجاز آيات القرآن بلفظ القرآن: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء:88] فمن نفى تسمية شيء من آيات القرآن بالقرآن فقد نفى عنها الإعجاز.

النتائج لنفي إطلاق اسم "القرآن" على آيات التشريعات والأحكام

1- إن نفي المؤلف إطلاق اسم "القرآن" على آيات التشريعات والأحكام، يُلزمه نفي الأحكام الشرعية التي جاءت بخصوص القرآن.

---

[37] ناضرين، المصدر السابق، ص13.

[38] عفانة، جواد، **القرآن وأوهام القراءة المعاصرة**، (الأردن: دار البشير، ط1، 1415هـ/1994م)، ص21.

2- يلزم المؤلف في نفيه إطلاق اسم القرآن على آيات الأحكام أن الأوصاف التي امتدح الله بها القرآن، لا تنطبق على آيات الأحكام.

3- ذكر الله تكذيب الكفار لِما أنزل على محمد، وهم كانوا يصرحون بلفظ القرآن.

4- تفسير المؤلف لما جاء في آية سورة يونس من كون القرآن مصدقاً لما بين يديه: أن ما بين يدي القرآن هو أم الكتاب، هذا التفسير من الخطأ الظاهر، فقد تكرر وصف القرآن بأنه مصدق لما يديه، والمراد بذلك: الكتب السابقة مثل التوراة والإنجيل[39].

---

[39] ناضرين، المصدر السابق، ص15- 16. لكن الدكتور يغالط هنا ويجادل بالباطل، فيقول: "إني لأعجب تمام العجب كيف ظن الفقهاء والمفسرون أن الذي "بين يديه" هما: التوراة والإنجيل، فبذلك قصموا ظهر نبوة محمد ﷺ حين أكدوا أنها ما جاءت إلا لتخبر الناس أن التوراة والإنجيل الموجودين في بداية القرن السابع الميلادي حين نزول القرآن هما صحيحان، لا أكثر من ذلك ولا أقل من ذلك. وإذا كان هذا هو الهدف من نبوة محمد ﷺ فقط، فأعتقد أن أشد اليهود والنصارى تزمتًا وتعصبًا سيؤيدون ذلك؛ لأن كلا من التوراة والإنجيل الحاليين هما نفس التوراة والإنجيل في القرن السابع. والأجدر بنا حينئذ نحن المسلمين أن نعتنق اليهودية أو النصرانية؛ لأن الهدف من نبوة محمد ﷺ هو تصديق العهد القديم والعهد الجديد المعروفين في القرن السابع".ص88. فند هذا القول الأستاذ وهو يقول: "فانظر إلى تحريفه معنى ﴿مصدقًا لما بين يديه﴾ إلى: الحكم بأن ما بين يديه صحيح! فرق ظاهر بين أن يأتي القرآن مصدقًا للتوراة والإنجيل، وأن يحكم بأنهما صحيحان، فالقرآن جاء برسالة محمد ﷺ التي هي امتداد للرسالات قبله، فكل أنبياء الله يدعون إلى عبادة الله وحده، وأصل دينهم واحد، وشرائعهم شتى، فما جاء به محمد ﷺ وما جاء به موسى وعيسى عليهما السلام كله يخرج من مشكاة واحدة، فهذا معنى كون القرآن مصدقًا لما بين يديه من التوراة والإنجيل. لكن القرآن لا يحكم بصحة التوراة والإنجيل الموجودين على عهد نبينا محمد ﷺ، بل يصرح بوقوع التحريف والتبديل في التوراة والإنجيل، والآيات في ذلك لا تخفى. منها قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة:15]. وقوله سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ● فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:78-79]. وقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ

جملة القول

لا يعارض الإسلام الحداثة في مفهومها الصحيح، حيث إنها مرتبطة بالتقدم التكنولوجي، ولا مانع في قبولها، وكما ذُكر أنها كلمة نسبية، فبالنسبة للغرب في السياسة له معنى، وفي الاقتصاد له معنى، وفي علم الاجتماع له معنى، ففي هذه المجالات لا بد أن نكون على حذر، وقبل أن نأخذ منه شيئا يتحتم علينا أن نجعله في الميزان ونختبره في منظار مقاصد الإسلام. ولا يعني قبول الحداثة أن نطبق المعايير الغربية التي ظهرت كرد فعل على النمطية والجمود عند الغرب، بل معناه أن لا نغلق باب الفكر لحلول جديدة مع التعامل مع النصوص الشرعية من القرآن والسنة وفق المعايير المقبولة لدى الجمهور، حتى لا يقع الإنسان في أمر ينكر فيه الأشياء المعلومة من الدين بالضرورة، كنفي إطلاق اسم "القرآن" على آيات التشريعات والأحكام، الذي يُلزمه نفي الأحكام الشرعية التي جاءت بخصوص القرآن.

يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَىَ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:71]. انظر: ناضرين، المصدر السابق، ص19.